المبحث الرابع

«التلتلة أو كسر حروف المضارعة

• تمهيد حول المصطلح:

المطالع لمادة (ت ل ل) فى لسان العرب يجد أن التلّ يجيء مصدرا، ويراد منه الإلقاء إلى الأرض، أو صب الحبل فى البئر عند الاستسقاء، ويجيء اسما، ويقصد به الرابية المرتفعة من الأرض.

أما التلتلة فقد وردت اسما للمَشْرَبَة، وسميت بذلك لأنه يُصبُّ ما فيها فى الحلق، ووردت بمعنى الشدّة، وبمعنى التحريك والإقلاق، واشتق منها الفعل: تلتله – أى زعزعه وأقلقه وزلزله[1].

أما فى إصطلاح أهل اللغة فالتلتلة تعنى كسر تاء تفعلون، يقولون: تِعلمون وتِشهدون ونحوه والله أعلم[2].

والمتأمل فيما سبق يمكنه الربط بين المعنى اللغوى والاصطلاحى، وذلك بالنظر لما يحدث فى تحويل الحركة التى يحملها حرف المضارعة من الفتحة إلى الكسرة، حيث نلاحظ فى الخط أن الحركة ألقيت من فوق الحرف إلى تحته وأسفله، فكأن الفتحة الفوقية قد زعزعت وحركت من مكانها المعتاد الذى هو فوق الحرف الصامت وهو بمثابة الرابية، إلى تحت ذلك الحرف وهو بمثابة الأرض منه – هذا بالنظر إلى الكتابة.

أما بالنظر إلى ما يجرى فى أعضاء النطق – وهو الأهم – فإننا نجد الفتحة التى ينبسط بها اللسان فى قاع الفم إذا تحولت إلى الكسرة أقلق اللسان وزعزع وحرك من مكانه، فاتجه مقدمه نحو مقدم الحنك الأعلى دون حفيف، ومعلوم أن المجرى فى الفم مع الفتحة يكون أوسع منه مع الكسرة، وكلما ضاق المجرى اندفع

---

(١) اللسان ١ / ٤٤١ (تلل) بتصرف.

(٢) السابق ١ / ٤٤٢.

الهواء بشدة، فينصبُّ الهواء إلى خارج الفم انصبابا، كما ينصب الحبل فى البئر، أو كما يندفع المشروب من التلتلة (المَشْرَبَة) إلى حلق الشارب وجوفه.

وبناء على ذلك التصور من الربط بين المعنيين نقول بأنه لا علاقة بين مصطلح «التلتلة» وبين حرف التاء؛ لأن هذا الأخير ليست له خصوصية تميزه عن سائر الحروف فيختص بظاهرة معينة فى ألسنة اللاهجين بالعربية، وربما كان رصد العلماء لتكرار التاء فى المصطلح هو الذى أوحى لهم بربط التلتلة مع كسر التاء فى أول المضارع، وإلا فإن كسر أول المضارع واقع فى كل حروف المضارعة[1] غير أنه يقع بدرجات مختلفة، وسوف يتضح لنا ذلك من عرض الحالات التى يكسر فيها حرف المضارعة، ثم من الأمثلة التطبيقية عليها من قراءة يحيى بن وثاب.

الحالات التى يكسر فيها أول المضاع:

● **أولاً**: يكسر حرف المضارعة من الأفعال المضارعة التى جاءت على (يفعَل) بفتح العين، وكان الماضى منها على (فَعِل) بكسر العين، ما لم يكن حرف المضارعة ياء، فغير أهل الحجاز يقولون: تِعجب وتِعلم وتِركب، وأنا إِعجب، وأنت تِعلم، ونحن نِركب.

أما المبدوء بالياء من هذا النوع فقدا استثقلوا (أوكرهوا) الكسرة فى الياء، فالزموها الفتح، حيث لم يخافوا انتقاص معنى[2].

وقد شذ عن هذه القاعدة قولهم: (يِئْبى) و(يِيجلْ) بكسر ياء المضارعة منهما؛ وذلك لأن الفعل الأول خالف القاعدة بكون ماضيه على (فَعَل) بفتح العين، وبكون المضارع منه مبدوءا بالياء[3]، أما الثانى فشذوذه من قبل أنه مبدوء بالياء، وهم يستثقلون الكسرة عليها[4].

---

(١) انظر درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى ١٧٤.

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٤ / ١١٠ وقارن مع لهجات العرب لأحمد تيمور ٩٢، ٩٣.

(٣) قال أبو حيان فى الارتشاف ١ / ١٨٣: فأما مضارع (أبى) فالذين يكسرون حرف المضاعة إلا الياء يكسرونه مطلقا فى الياء وفى غيرها، وإن لم يكن على (فَعِل) بكسر العين، وقد سمع ذلك فيه أهـ قارن مع الكتاب لسيبويه ٤ / ١١٠، ١١١.

(٤) قال صاحب الارتشاف ١ / ١٨٢: وَجِلَ المكسور العين مضارعه على يفعَل بفتح =

ومهما قيل فى تبرير الشذوذ فى الأول من أنّ مجيء المضارع على (يفعَل) بفتح العين منه جعله كان الماضى منه على (فَعِل) بكسرها؛ لأن القياس مخالفة عين المضارع للماضى فى الحركة[١].

فإن ذلك يعنى للباحث الوصفى شيئًا واحدًا، وهو أن كسر حرف المضارعة الذى هو الياء قد سمع من العرب[٢]، وأنه ليس بالضرورة أن يكون الماضى مما كسر منه حرف المضارعة على وزن « فَعِل » بكسر العين، وغاية ما يقال فى هذا الشأن أن الكسر فى حروف المضارعة كلها ورد عن العرب غير أنه متفاوت فيها، فهو « فى النون والتاء من بين حروف المضارعة أكثر »[٣]، وقليل فى الهمزة، وأقل فى المبدوء بالياء.

ونقول أيضًا إن كسر حرف المضارعة فيما كان وزنه « فَعِل يفعل » كعلم يعلم – كثيرٌ، وفيما عداه وارد لكنه قليل، وهذا ما ستوضحه الأمثلة الآتية:

أمثلة تطبيقية وافقت القواعد:

● من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

الفعل (تقربا) يأتى من باب تعب، فيقال: قربت هذا الأمر أقربه، بمعنى فعلته أو دانيته، ويأتى من باب قتل، فيقال: قربته أقرُبُه، بنفس المعنى[٤].

وقد قرأ يحيى بن وثاب (تِقربا) بكسر التاء[٥] وهذه القراءة تحمل على اللغة الأولى التى يجيء فيها الفعل من باب تعب.

= العين، وهى لغة قريش وكنانة. وأهل الكسر مختلفون فمنهم من يكسر مطلقا، وهى لغة تميم، فتنقلب تلك الواو ياء – ومنهم من يكسر إلا فى الياء فيفتح، وهى لغة بنى عامر، وقوم من هؤلاء يقلبون الواو الفا فيقولون: يَاجَل، وتاجل – ومنهم من يقلبها ياء فيقول: يِيجِل، وتِيجِل، ونِيجِل، وإِيجِل اهـ قارن مع الكتاب لسيبويه ٤ / ١١١، ١١٢.

(١) انظر الكتاب ٤ / ١١٠، ١١١.

(٢) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٩ / ٧٨: بعض كلب يكسرون الياء أيضًا، يقولون: هل يِعْلَم؟ ومثله فى الدر المصون ٩ / ٢٨١.

(٣) السابق من البحر المحيط.

(٤) اللسان ٥ / ٣٥٦٦ قرب، والمصباح المنير ٤٩٦، والفتوحات الإلهية ١ / ٤٢.

(٥) المختصر لابن خالويه ١٢، وبدون نسبة فى البحر المحيط ١ / ٢٥٦، والدر المصون ١ / ١٩١ – ط ١٩٩٤م وعبارة أبى حيان: وقرئ (ولا تقربا) بكسر التاء، وهى لغة عن الحجازيين=

• ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ [آل عمران: ٧٥].

والفعل (تأمنه) مأخوذ من الماضى أمِنَهُ بكذا، أى وثق به[١] واطمأن إليه، وقد قرأه يحيى بن وثاب (تِيمَنْه) بكسر التاء وقلب الهمزة ياء، ونسبت القراءة بذلك أيضًا إلى عبدالله بن مسعود، وإلى أبى الأشهب العطاردى العقيلى[٢]، وقرأ أبىّ بن كعب (تِئمنه) فى الموضعين، و(تِئمنا) فى يوسف - ١١ - بكسر التاء والهمزة[٣].

وجرى ابن وثاب على نهجه هو فى قراءته لآية يوسف، من كسر التاء وقلب الهمزة ياء، ووافقه فى ذلك أبو رزين، وهى لغة تميم[٤].

وقد جعل ابن عطية الكسر لحرف المضارعة فى الفعلين السابقين من لغة قريش، وقد نقل عنه أبو حيان قوله فى التعليق على قراءة أبىّ بن كعب (تئمنه) بكسر التاء: وما أراها إلا لغة قرشية، وهى كسر نون الجماعة كنسْتَعين، وألف المتكلم كقول ابن عمر: لا إخاله، وتاء المخاطب كهذه الآية (تَئمنه)، ولا يكسرون الياء فى الغائب[٥] - وقد غلطه أبو حيان فيما ذهب إليه، فقال: وما ظنه من أنها لغة قرشية ليس كما ظن، وقد بينا ذلك فى «نستعين»[٦].

= فى «فَعِل يفعَل»، يكسرون حرف المضارعة التاء والهمزة والنون، وأكثرهم لا يكسرون الياء، ومنهم من يكسرها اهـ وأحسب أن صواب العبارة [وهى لغة غير الحجازيين] بدليل قوله فى ١ / ٤٢: وفتح نون «نستعين» قرأبها الجمهور، وهى لغة الحجاز، وهى الفصحى، وقرأ عبيد ابن عمير الليثى، وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب، والنخعى، والأعمش، بكسرها، وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبه، وقال أبو جعفر الطوسى: وهى لغة هذيل اهـ البحر ١ / ٢٥٦.

(١) اللسان ١ / ١٤١، المصباح ٢٤ (أمن).

(٢) المختصر لابن خالويه ٢٧، والكشاف ١ / ٣٤٨، والبحر المحيط ٣ / ٢٢١، وفتح القدير ١ / ٣٥٣، وشواذ القراءة للكرمانى ورقة ٥١.

(٣) السابق من البحر المحيط والدر المصون ٣ / ٢٦٠، ٢٦١.

(٤) معانى القرآن للفراء ٢ / ٣٨، والبحر المحيط ٦ / ٢٤٥، والدر المصون ٣ / ٢٦٠، ٦ / ٤٤٨، وشواذ القراءة للكرمانى ورقة ١١٦.

(٥) الكشاف ٤ / ٢٣ط دار الريان ١٩٨٧م، البحر المحيط ٣ / ٢٢١، والأصل فى المحرر الوجيز جـ ١ / ٧٦: تحقيق المجمع العلمى بفاس ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٦) السابق فى البحر المحيط، وينظر ١ / ٤٢ منه.

ونحن مع أبى حيان فى اعتراضه على كلام ابن عطية؛ لأن العلماء يكادون يجمعون على خلاف ما ذهب إليه ابن عطية، فقد رأيناهم يصرحون فى أكثر من موضع بأن كسر حروف المضارعة عادة نطقية لغير أهل الحجاز[١]، وخصوا بالذكر من القبائل التى تكسر أول المضارع: قبائل بهراء، وتميم، وبنى أخيل، وبنى أسد، وقيس، وربيعة وهذيل[٢].

● ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ** ﴾ [النساء: ١٠٤].

الفعلان «تألمون - يألمون» مأخوذان من الماضى أَلِمَ أَلَمًا بوزن تعب تعبا[٣]، وقد قرأهما يحيى بن وثاب «تِئْلَمُون - يِئْلَمُون» بكسر التاء من الأول والثالث، وبكسر الياء من الثانى، مع إبقاء الهمزة فى الجميع، وقرأ ابن السميفع بكسر التاء فقط مع الهمزة أيضًا[٤].

ونسب إلى يحيى بن وثاب أيضًا أنه كسر التاء والياء مع قلب الهمزة ياء[٥]، ومثل ذلك قراءة منصور بن المعتمر بكسر التاء وقلب الهمزة[٦].

وعقب ابن جنى بأن هذه القراءة التى كسرت ياء المضارعة فى «ييلمون» محمولة على قولهم «ييجل» يكسر الياء؛ لشبهها به فى اللفظ[٧] بمعنى أنه احتمل الكسر فى الياء فى نظير التخلص من ثقل الواو بقلبها ياء فى «ييجل»، واحتمل ذلك فى «ييلمون» فى نظير التخلص من النبر بالهمزة.

وأيا ما كان السبب فيما مضى فإن إثبات الهمزة مع كسر الياء فى قراءة ابن وثاب يبرر ما ذهب إليه الحريرى من أن التلتلة تعنى كسر حروف المضارعة مطلقا[٨] غير أنه فى الياء أقل منه فى التاء والنون والهمزة[٩].

---

(١) الكتاب ٤ / ١١٠ وما بعدها، والتصريح على التوضيح ٢ / ١١٨.
(٢) يراجع لهجات العرب - لأحمد تيمور ٨٦ - ١٠١.
(٣) المصباح المنير ص ١٩.
(٤) البحر المحيط ٤ / ٥٥، والدر المصون ٤ / ٨٦.
(٥) المحتسب ١ / ١٩٨، والسابق من البحر المحيط.
(٦) السابق من البحر المحيط، وفتح القدير ١ / ٧٦٤ ط الأولى ١٩٩٣م بالقاهرة.
(٧) المحتسب ١ / ١٩٨.
(٨) درة الغواص ١٧٤.
(٩) انظر المحتسب ١ / ٣٣٠، والبحر المحيط ٩ / ٧٨، ١ / ٢٥٦ مع ملاحظة أنه نسب الكسر للحجازيين فى هذا الموضع الأخير، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه يناقض ما أثبته فى ١ / ٤٢.

● ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

الفعل (آسي) مضارع للماضى: أَسِيَ أَسًى، من باب تعب بمعنى حزن، واسم الفاعل أسٍ أى حزين، ولام الفعل واو، من قولهم: رجل أسوان بوزن سكران، أو لامه ياء من قولهم: رجل أسيان، أى حزين(١).

وأصل الفعل المذكور فى الآية «أأسَى» قلبت الهمزة الثانية الساكنة حرف مد من جنس حركة الأولى، فصار «آسى»، وعليه جاءت قراءة جمهور القراء(٢).

وقد قرأه يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأعمش «إِيْسَى» بكسر حرف المضارعة وهو الهمزة الأولى(٣)، وقلب الهمزة الثانية ياء، وإبقاء السين مفتوحة، قال السمين الحلبى: وقد تقدم أنها لغة بنى أخيل(٤).

ولحمزة والكسائى وخلف قراءة أخرى فى الفعل المذكور، حيث أمالوا الفتحة من الهمزة الأولى ومن السين نحو الكسرة(٥).

وأعتقد أن هذه القراءة تمثل المرحلة الوسطى بين قراءة الجمهور بفتح الهمزة والسين، وقراءة يحيى بن وثاب ومن معه بإخلاص الكسر فى الهمزة وإخلاص الفتح فى السين.

● ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

الفعل الأول فى الآية فيه لغات ثلاث: الأولى – من باب تعب، والثانية – من باب قعد قعودًا، قال الأزهرى: وليست بالفصيحة، والثالثة – على مثال فتح يفتح، وهى من تداخل اللغتين، قال بعضهم إنها نادرة، ومعنى ركن إليه فى اللغات الثلاث: مال إليه وسكن(٦).

---

(١) اللسان ١/ ٨٣، والمصباح ١٥. (٢) انظر إعراب القراءات الشواذ ١/ ٥٥٢.

(٣) البحر المحيط ٥/ ١١٨، قال وهى لغة كما تقدم ذكرها فى الفاتحة اهـ ينظر ١/ ٤٢ منه، وفيه حكاية نادرة عن ليلى الأخيلية كسر حرف المضارعة فيها.

(٤) الدر المصون ٥/ ٣٨٧ وقارن مع المختصر لابن خالويه ٥٠، والكشاف ٢/ ٩٧.

(٥) ينظر إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٥.

(٦) اللسان ٣/ ١٧٢١، والمصباح ٢٣٧ (ركن).

وقد وافق أبو حيان والسمين الحلبى الأزهرى فى أن ركن يركن على مثال تعب يتعب هى اللغة الفصحى[١].

كذلك وافق الراغب الأصفهانى الأزهرى فى أن اللغة الثانية صحيحة، لكنها ليست بالفصيحة[٢].

ووصفت اللغة الثالثة بأنها شاذة، وأنها ليست بالأصل، وإنما هى من تداخل اللغات[٣]؛ لأن فعل يفعل بفتح العين فى الماضى والمضارع شرطه أن يكون حلقى العين أو اللام[٤].

وهذا الفعل قرأه الجمهور (تَرْكَنُوا) بفتح التاء والكاف على اللغة الأولى، وهى لغة قريش، وهى اللغة العالية الفصحى[٥].

وقرأه قتادة وطلحة والأشهب ورويت عن أبى عمرو (تَركُنُوا) بفتح التاء وضم الكاف، على اللغة الثانية، وهى لغة قيس وتميم، قال الكسائى: ولغة أهل نجد[٦].

وقرأه يحيى بن وثاب، وأبو عمرو فى رواية (تِرْكَنُوا) بكسر التاء وفتح الكاف، على لغة من كسر حروف المضارعة من فَعِلَ يَفْعَل، وهى لغة تميم فى غير الياء[٧].

ومثل هذه القراءة وردت فى الفعل الثانى المذكور فى الآية، فقد قرأه يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن مصرف بخلاف، ورواه الأزرق عن حمزة «فَتِمَسَّكم» بكسر التاء وفتح الميم، قال ابن جنى: وهذه لغة تميم[٨]، وهى

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٢١، والدر المصون ٦/ ٤١٨.

(٢) المفردات ٢٠٣، والفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٨.

(٣) أى ركب الماضى من اللغة الثانية مع المضارع من اللغة الأولى فصارت اللغة الثالثة مفتوحة العين فى الماضى وفى المضارع.

(٤) البحر المحيط ٦/ ٢٢١، والدر المصون ٦/ ٤١٨ ط ١٩٩٤.

(٥) البحر المحيط ٦/ ٢٢٠، والسابق من الدر المصون. (٦) البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(٧) المختصر لابن خالويه ٦٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٠ إلى أبى عمرو وحده، والدر المصون ٦/ ٤١٨.

(٨) ينظر المحتسب ١/ ٣٣٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٢١، وفى الدر المصون ٦/ ٤١٩ نسبت إلى ابن وثاب وعلقمة والأعمش وآخرين، وفى الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٨ إلى الأعمش وعلقمة وآخرين.

متفرعة عن قراءة الجمهور التى تفتح التاء والميم، والفعل فيهما من باب تعب، وفيه لغة أخرى ذكرها صاحب المصباح المنير، وهى أنه يجيء من باب قتل[1]، ولم ينسب إلى أحد – فيما أعلم – أنه قرأ بها.

● ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ [يس: ٦٠] حيث يقال: عهد إليه يعهد من باب تعب: إذا أوصاه[2]، وعلى هذه اللغة جاءت قراءة الجمهور (أعهد) بفتح الهمزة والهاء، وجاءت قراءة يحيى بن وثاب بكسر الهمزة وفتح الهاء على سبيل المضارعة[3].

● ومن الأمثلة التى وافقت القاعدة قراءة بعضهم ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال العكبرى: يقرأ بكسر الهمزة على لغة كنانة، فإنهم يكسرون حرف المضارعة إلا الياء[4].

أمثلة تطبيقية شذت عن القاعدة:

● هناك أمثلة من القراءات القرآنية كسر منها حرف المضارعة دون أن يكون الماضى (فَعِل) بكسر العين:

ومن ذلك قوله: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[الأعراف: ٦٢]، فالفعل «أنصح» من باب فتح يفتح، يتعدى باللام وبنفسه، يقال نصحت له ونصحته، بمعنى أخلصت له الرأى والمشورة، والمتعدى باللام هو اللغة الفصيحة[5]، وبالرغم من ذلك فقد نسب كسر حرف المضارعة منه إلى يحيى بن وثاب، وإلى طلحة بن مصرف[6].

● ومما كسر حرف حرف المضارعة منه دون أن يكون المضارع على «يفعل»

---

(١) المصباح المنير ٥٧٢ (مسس).

(٢) المصباح المنير ٤٣٥، واللسان ٤/ ٣١٤٨ (عهد).

(٣) فى البحر المحيط ٩/ ٧٧ والدر المصون ٩/ ٢٨١ تحقيق الخراط نسبت إلى طلحة والهذيل بن شرحبيل، ونسبت إلى ابن وثاب فى المختصر لابن خالويه ١٢٦.

(٤) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٢٧٢ الأصل والهامش.

(٥) المصباح المنير ٦٠٧ (نصح).

(٦) المختصر لابن خالويه ٥٠.

بفتح العين قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فقد قرأه زيد بن على، ويحيى بن وثاب، وعبيد بن عمير الليثى «نِعبد» بكسر النون[١]، والفعل المذكور بابه نصر ينصر.

● ومما شذ عن القاعدة أيضًا ما نسب إلى يحيى بن وثاب من أنه قرأ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ [يس: ٦٠] بكسر الهمزة وكسر الهاء[٢]، وهى مبنية على أن الفعل من باب ضرب وفى ذلك خروج عما اشتهر بين علماء اللغة من عدم كسر حرف المضارعة فيما كان ثانيه مفتوحا نحو ضرب وذهب وأشباههما[٣].

وهذه الأمثلة إن دلت على شيء فإنما تدل على نقص فى استقراء من اشترط لحدوث المضارعة فى غير المبدوء بهمزة الوصل وتاء المطاوعة فى الماضى – أن يكون ماضيه على فعِل بكسر العين وأن يكون مضارعة على يفعل بفتح العين؛ لأن القراءة وردت بما ينقض ذلك الشرط كما بينا؛ ولأن بعض العلماء– كالكسائي مثلا – سمع من بعض بنى دُبَيْر: أنت تِلحن وتِذهب ونحوهما[٥].

ثانيا: يكسر حرف المضارعة من الأفعال المبدوءة بهمزة الوصل فى الماضى، مثل نستعين، ينْطلق، يستَنْصِر، تِسْوَدّ، تِبْيَض، «وأنت تِستغفر، وتِحرنجم، وتِغْدودن، وأنا اقْعَنْسس»[٦].

● ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وفيه قراءتان: أولاهما: قراءة الجمهور «نستعين» بفتح النون، وهى لغة الحجاز الفصحى[٧]، ولا يؤبه لمن جعل ذلك لغة لقريش وأسد معا[٨]؛ لان ابن فارس نقل عن الفراء أن الفتح لغة قريش، وأن أسدا وغيرهم يقولونها بكسر النون[٩].

---

(١) البحر المحيط ١ / ٤١ وينظر ارتشاف الضرب ١ / ١٨٣–الطبعة الأولى ١٩٩٨م تحقيق رجب عثمان.

(٢) البحر المحيط ٩ / ٧٧، والدر المصون ٩ / ٢٨١ تحقيق أحمد الخراط.

(٣) الكشاف ٣ / ٣٢٧، والسابق من الدرالمصون. (٤) الكتاب ٤ / ١١٠.

(٥) ارتشاف الضرب ١ / ١٨٣ تحقيق رجب عثمان.

(٦) الكتاب ٤ / ١١٢. (٧) البحر المحيط ١ / ٤٢.

(٨) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٤٥، واللهجات فى الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ١٦٠.

(٩) ينظر معانى القرآن للفراء ١ / ١٩، والصاحبى ٢٨، والمزهر ١ / ٢٥٥.

والثانية: بكسر نون المضارع من الفعل «نستعين» وهذه قرأ بها عبيد ابن عمير الليثى، وزر بن حبيش، ويحيى بن وثاب، والنخعى، والأعمش، وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة، وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبهه، قال أبو جعفر الطوسى: وهى لغة هذيل[1].

ويرجح أن المقصود بعض هذيل لاجميعهم؛ لأن هذيلا قبيلة كبيرة مترامية الأطراف، وكانت لهجتها من أقرب اللهجات إلى لهجة قريش بتأثير الجوار والنسب، لذا يرجح أن بعضا منهم كانوا يفتحون حرف المضارعة، وهم أهل الحضر أو من كانوا فى جوارهم، وأن بعضهم الآخر من البدو كانوا يكسرون حروف المضارعة كما قال الطوسى[2].

● ومن الشواهد على هذه الحالة أيضًا أن بعض القراء قرأ ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] بهمزة الوصل وبالنون على التعظيم مع كسر حرف المضارعة فيه، نونا كانت أو همزة، وهى لغة[3].

ثالثًا: يكسر حرف المضارعة من الأفعال المبدوءة فى الماضى بتاء المطاوعة أو شبهها، نحو: أنت تتذكر، وتتكلم، وتتدحرج، «وكذلك كل شىء من تفعلت أو تفاعلت أو تفعللت يجرى هذا المجرى (أى مجرى نستعين وشبهه)؛ لأنه كان عندهم فى الأصل مما ينبغى أن يكون أوله ألف موصولة؛ لأن معناه معنى الانفعال، وهو بمنزلة انفتح وانطلق، ولكنهم لم يستعملوه استخفافا فى هذا القبيل[4].

كأنهم حملوا «تفعَّل» على «انفعل» فى إفادته المطاوعة وكسر أوله، حيث نراهم يقولون كسّرته – بالتشديد – فتكسر، ويقولن كسرته – بالتخفيف – فانكسر[5].

---

(١) الكشاف ١/١٦٦، والبحر المحيط ١/٤٢، وتفسير القرطبى ١/١٤٦، ونسبها ابن خالويه فى المختصر إلى جناح بن حبيش المقرئ ٩، ونسبها البنا فى الإتحاف إلى المطوعى ص١٢٢، الطبعة القديمة ولم تنسب فى الدر المصون إلى أحد.

(٢) ينظر لغة هذيل ١٥، واللهجات العربية فى التراث ٣٩٤.

(٣) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٢٠٥ الأصل والهامش.

(٤) الكتاب ٤/ ١١٢.

(٥) لهجات العرب لأحمد تيمور ٩٦ بتصرف.

ولم أعثر على أمثلة لهذه الحالة فيما استقصيته من قراءة يحيى بن وثاب.

وإذا كنا قد لاحظنا فيما مضى أن كسر حروف المضارعة كان سمة من سمات لغات البدو، فإننا نستطيع التعليل لذلك بأن عامل السرعة فى النطق والأداء كان له النصيب الأوفر فى انتشار تلك العادة الكلامية، وقد أومأنا إلى ذلك فى الربط بين المعنى اللغوى والاصطلاحى لمصطلح التلتلة، ويزداد ذلك بيانا إذا عرفنا أن أقرب الحركات الثلاث إلى طرف اللسان ومقدم الحنك هى الكسرة، وأن ضيق المسافة بينهما، واندفاع الهواء (دون حفيف) بقوة معها يجعل النطق بها أسرع من النطق بغيرها، يضاف إلى ذلك السهولة فى أدَاء الكسرة للسبب المتقدم، ولانفراج الشفتين معها أيضًا، ولهذا كله كانت الكسرة فى أول المضارع الحركة المختارة لتكون البديل المناسب عن فتح حرف المضارعة.

وشيء آخر نود الإشارة إليه، وهو أن كسر حروف المضارعة ليس خاصا بالقبائل البدوية العربية، وإنما هو ظاهرة موجودة فى معظم الساميات كالعبرية والسريانية، غير أن كسر أحرف المضارعة قد انتقل فى العبرية والسريانية من وزن (فعل يفعل) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع إلى بقية الأوزان الأخرى، فصارت أحرف المضارعة كلها مكسورة فى اللغة العبرية، إلا فى الأفعال الحلقية الفاء، والجوفاء، والمضعفة، فإن أحرف المضارعة بقيت مفتوحة فيها[1].

كذلك توجد هذه الظاهرة فى بعض اللهجات الحديثة المنتشرة فى جنوب اليمن، وفى لهجات السريان فى هذه الأيام، وفى عامية مصر، ونجد وغيرهما[2].

* * *

(١) اللهجات العربية فى التراث ٣٩٧ بتصرف.

(٢) السابق، وتاريخ آداب اللغة العربية الجورجى زيدان ١ / ٤٥.